

حوار

لا ينسى الشاعر اليمني عبد العزيز المقالح (1937) مواعيد. مازال محتفظاً بذاكرة مقاومة إلى درجة قدرته على تذكّر تاريخ اليوم الذي قرّر فيه التوقف عن تناول الشاي في منتصف سبعينيات القرن الماضي. خلال فترة إقامته المصرية للدراسة. خلال حديثنا. يأتي على ذكر قصيدة كتبها في منتصف ستينيات القرن الماضي. يتردد في عنوانها. نذهب إلى مكتبته الضخمة لتقليد ديوان الأعمال الكاملة من أجل التأكد. فنجد العنوان نفسه الذي قاله لنا «الموت». قصيدة سبقت صدور ديوانه الشعري الأول «لابد من صنعاء» (1971) الذي فتح أبواب القصيدة أمام كاتبها ليدخل عالم النص التفعيلي لاحقاً عبر أعماله وضعت للشعر اليمني محلاً في مبنى القصيدة العربية الحديثة. ووضعت المقالح في واجهة التعريف بوجود

كتابة جديدة في صنعاء إلى جانب الشاعر اليمني البارز عبدالله البردوني. على الرغم من كتابة البردوني للقصيدة الكلاسيكية شكلاً. إلا أنه نجح في إنتاجها بطريقة تجاوزت ذلك الشكل لتبدو حديثة سابقة عصرها. من جهته. واصل المقالح كتابة قصيدة التفعيلة وقبض عليها منشغلاً بتطويرها من داخلها ولم يقدم. كغيره. على نقلة نهائية باتجاه قصيدة النثر على الرغم من إيمانه بجواز المزاجية بين الأشكال. بين قصيدة التفعيلة وقصيدة النثر. كما سيفعل في «كتاب الأصدقاء» (2002) «حيث المعيار في الشعر لا يأتي من شكله. بل من القيمة الفنية التي يحملها ذلك الشكل». وإلى جانب الشعر. التزم المقالح بالتدريس الجامعي أسداً للأدب الحديث. قبل أن يصبح الشاعر اليمني الوحيد الذي تراس جامعة صنعاء من عام 1982 حتى 2001. خلال

يدعم لرحيله الأحياء من مصر إلى اليمن

عبد العزيز المقالح: «كتاب الحرب»



ولم يذهب أدونيس بعيداً حين قال: «على أن الشعر هو - في الثقافة - الأفق الأكثر رحابة، والهواء الأكثر نقاوة... وعلى أنه التعبير الأجل والأكمل عن الهوية...».

■ حين أصدرتم مجلة «غيمان» كنتم تبحثون وراء هذا المعنى؟

- لقد طمحت «غيمان» إلى أن تكون وعاءاً إبداعياً يقدم للقارئ أحدث نتاجات المشهد الإبداعي العربي شعراً ونقداً، مؤكدة ما يذهب إليه نقاد كثر - عرباً وغير عرب - من أن الشعر هو المعافى الوحيد في هذا الوطن المبتلى بديناصورات الديكتاتورية الغارية، ووحوش الهيمنة الكاسرة، وعنمات الجهل الموروث. وتمنينا أن تكون بشارة حلم بالمحبة والألفة، وعلامة تتلاشى عندها الخصومات الأدبية المجانية بوصفها بضاعة مغشوشة فاسدة لا تحتضن سوى الإفلاس ولا تطرح سوى الكراهية. وبدلاً من ذلك، فتحت المجلة صدرها لحوار حر ونقاش علمي ورأي مغاير لا يلغي الآخر أو يصادره. وتبقى الإشارة الأهم، أن كل كتابة لا تستمد وجودها من ذلك الكنز النقي الهاجع في أعماق الروح، ولا تتفجر من حين دائم إلى غد إنساني حرّ جميل، لا تستحق ثمن الحبر الذي أهدرتة ولا الورق الذي مسخت شفافيته. ومن هذه المنطلقات جميعاً، حرصت «غيمان» - بتهيئتها ومحرريها وكتابها - على أن تكون أبيات أبي تمام في المحبة والإخاء الإنساني والأدبي شعاراً لا تحيد عنه أو تخرج عن دلالاته: «إن يُكْرَمَ مطرُ الإخاء فإننا/ نغدو ونسري في إخاء تالذ/ أو يختلّف ماء الوصال فمأوئنا/ غدبٌ تحذّر من غمام واحد/ أو يفترق نسب يؤلّف بيننا/ أدبٌ أقنمناه مقام الوالد».

■ أين «غيمان» من الحالة الروائية العربية واليمنية على وجه الخصوص؟

الشعر هو المعافى الوحيد في هذا الوطن المبتلى بديناصورات الديكتاتورية الغارية

- ما من شك في أن الرواية الجديدة عمل فني وكتابة إبداعية لا تتعد عن الواقع كثيراً، بل تستحضر صورته ووقائعه بطريقة تختلف عن الكتابة التقليدية المباشرة. والسؤال المهم هو: أين الرواية في بلادنا من هذه التطورات، من الجديد الروائي بمكوناته الجمالية، وتحليله في أفق رحبة من التجريب والتحديث؟ يبدو لي أن الوقت لا يزال مبكراً بالنسبة لنا للانخراط في المنجز

مشكلة هذا الفضاء المفتوح أنه بلا رقابة أخلاقية، ويفتح الباب لكل من هب ودب، ما جعله فضاءً مثقلاً ويكاد يخنق الأنفاس. والسؤال: هل هناك وسيلة ما لصد هذا التسلسل اللا فني واللا أخلاقي؟ وكيف يمكن ضبط ما ينشر كما يحدث في المجالات والصحف الجادة والرصينة؟

■ هناك أخبار تقول إنهم يدرسون تطوير أدوات للتثبت من صحة ما يُنشر من عدمه.

- أتمنى ذلك سريعاً.

■ لو ربطنا هذا، كجزء من التفاصيل الحياتية الحاصلة اليوم، بنبيرة الحزن المسيطرة على ديوانك الجديد «الشمس تتناول القهوة في صنعاء القديمة» (دار الآداب) أو لأسباب أخرى، هل تكون مجاورين للصواب؟

- من سيقرا الديوان سيجد أنه خال من كل ما يتعلق بأوضاع صنعاء الراهنة؛ فقصاده كلها تقريباً تعود إلى ما قبل التطورات الأخيرة التي بدأت بظهور الشباب المغدورة (فبراير 2011) وانتهت بالحرب التي تطحن البلاد كلها اليوم. ولهذه المرحلة العابسة قصادها في ديوان اقترحت له اسماً أولياً هو «كتاب الحرب»، وقد نشرت بعضاً من نصوصه في أكثر من جريدة عربية. وسيكون جاهزاً للنشر بعد أن يتوقف نزيف الدماء وتصمت أصوات المدافع والصواريخ.

■ يبدو سؤال الشعر هنا كضرورة.

- الشعر تجربة لا نهائية، وسؤال دائم الإنجاز والتجدد، تجربة مفتوحة لا تقبل التكرار والمحاكاة والانغلاق. والشعر بطبيعته ينفر من التعقيد، ويهوى الانطلاق في فضاءات لا نهائية، وإذا كان العلماء - منذ وقت طويل وإلى وقت قريب - يتحدثون عن بصمة الإبهام بوصفها العلامة التي تميز الفرد ولا يمكن أن تتكرر، فإنهم، بعد تقدم العلم خطوات أكبر، صاروا يتحدثون عن بصمة العين بوصفها الأكثر تميزاً وتمثلاً لخصوصية كل إنسان عن الآخرين. أما القصيدة الجديدة، قصيدة اليوم والغد، فهي وحدها التي تشبه بصمة العين. تسعى في خصوصيتها إلى البحث عن النص الذي يغري روح الشاعر بالبحث عنه، ويغري روح القارئ بمتابعته وهو مغمور بالفرحة والدهشة والأسئلة.

■ لهذا يكتب عبد العزيز المقالح؟

- إن عالماً خالياً من الشعر هو عالم بائس شديد الجفاف. ومهما قيل عن مستوى منه عميق التعبير يخاطب النخبة الثقافية فقط، فإن أشكالاً أخرى منه ما زالت تخاطب الوجدان البشري في حدود مستوياته الدنيا.

■ كيف تنظر إلى مواقع التواصل الاجتماعي، خصوصاً «فايسبوك» الذي صار منبراً لنشر القصائد؟

- من المحزن للغاية أن يفاجئني بعضهم بالحديث عن قصائد ومقالات منشورة على فايسبوك ومنسوبة إلي، نتناول الأوضاع الراهنة بأسلوب حاد وبلغه لا تتفق مع أسلوب وقاموسي اللغوي ومعرفتي بالكتابة الشعرية أو النثرية، وبعض الذي يُنشر من السقم والرداءة إلى درجة كبيرة. الغريب أن هذا الذي يُنشر يأتي على حالتين متناقضتين تماماً، فبعضه يكون مع طرف والباقي مع الطرف الآخر من بين الأطراف المتصارعة».

■ تقصد أن كل طرف يستخدم اسمك على نحو يطابق رغبته وتوجّهه؟

- تماماً، وهذا أمر يؤذيني للغاية، ويؤلمني، ولا أعرف لمن أشكو. وكتم حصل أن قلت جميل أن لا يكون الشعر حرفاً، وأن لا يكون مصدر رزق، وأن يبقى كما أراد الله للطور غناء، وللزهور رائحة والواناً، وللزمان فصلاً، وللطبيعة جبلاً وسهولاً وودياناً. والأجمل من ذلك أن يكون الشاعر حراً في حياته، وفي اختيار الشكل الذي يكتب به، وفي اختيار الكلمات التي يأنس إليها، والصور التي تعكس انطباعه هو لا ما راه أو تخيله الآخرون بالنسبة عنه؛ وحتى لا يكون الشعر صدى لحاجة الشاعر إلى النقاء ويكون الشاعر أسيراً لذاكرة تراكم عليها غبار القرون.

■ لكن ما يحصل هو جزء من توابع هذا الفضاء الإلكتروني الذي أتاح بدائل حديثة لعملية النشر، خصوصاً لجماعة الأدباء الشباب الذين كانوا يجدون صعوبات بالغة في نشر أدبهم.

- هذا صحيح، لكن أتكلّم عن هذا الفضاء المفتوح الذي يكتب عليه كل من هب ودب، وينسب كتابته لمن يشاء. مع ذلك كله، وعلى الرغم من كل شيء، تبقى ثقفتي بقارئ مثقف حصيف يجيد التمييز بين النصوص ويفرق ما بين النص الأصلي وما هو كيدي ومُنتحل.

■ مع ذلك أيضاً، لا يمكننا الآن تناسي الخدمة التي يقدمها لنا هذا الفضاء الإلكتروني، واليمن يعيش منذ نحو عامين كل هذه العزلة التي حجبت عنه أخبار ما يحدث في الخارج من أحداث ونشر.

- لا خلاف حول كونه اختراعاً حضارياً عظيماً وبالغ الأهمية ويمكن لمس ما يفعله لنا، ونحن نعيش هذه الأيام أقصى حالات العزلة، وتخفيفه مرارة الانقطاع عن العالم بفتح نافذة للتواصل اليومي مع مفردات جميلة يتم نشرها. لكن

انتقلت إليها من قريتي التي تبعد عنها مسافة طويلة كنت أقطعها في تلك الأزمنة الماضية في خمسة أيام على الجمال والبعال. كذلك فإن مسألة الولادة في مكان ما شرط، ودليل على الانتماء إلى ذلك المكان.

■ متى كانت أول مرة ترى فيها صنعاء؟ كانت المرة الأولى التي أضع فيها قدمي على تراب صنعاء وعمري ست سنوات، بعدما أمضيت في القرية ما يكفي لاستيعاب عناصرها الأولية وحكاياتها ومراثيها، وما كان يرافق الفصول من تغيرات وترقب أوقات البذر والحصاد...

■ «كتاب القرية» يروي الكثير منها. بالضبط، إضافة إلى طبيعة العلاقات الإنسانية هناك والفضاء الذي يسمح بخلق روابط بعيدة عن الماديات والشروط المسبقة.

■ لكن صنعاء مختلفة عن هذا السياق. تستحق صنعاء أكثر من قصيدة.

الروائي الأحداث. ومع ذلك، فهناك بواكير تبشر بها أعمال عدد لا بأس به من الروائيين اليمنيين، وفيها جميعاً ما يتلاءم مع أساليب الكتابة الروائية الحديثة. لقد كان الروائي القديم والتقليدي يهتم بإبصار الحدث، ويحرص على التعايش مع أبطاله، يتابع مسيرهم ونتائج أعمالهم. وكانت الرواية قريبة في دلالاتها الواقعية، في حين لم تعتمد الرواية الأحداث أو الأجد على الواقع وإشكالياته، بل انطلقت في فضاءات رمزية ولغوية أوسع وأشمل. وسيمضي وقت قبل أن يبدأ الروائي في بلادنا كتابة الرواية في ضوء هذا المنظور الجديد؛ تقديراً لمستوى المتلقي وأسباب أخرى.

■ كثر لا يعرفون بأنك لست من مواليد صنعاء. من فرط ما تكتب عنها يعتقدون ذلك، من أول ديوان «لا بد من صنعاء»، مروراً بـ «كتاب صنعاء»، ووصولاً إلى ديوانك الصادر حديثاً.

- لست من مواليد صنعاء بالفعل.